

الأمثال في القرآن الكريم وطرق استخداماتها في الموضوعات

م.م سعد صالح عبدالمجيد

المديرية العامة للتربية في محافظة كركوك

**Proverbs in the Noble Qur'an and ways of using them in
topics"**

Saad Saleh AbdulMajeed

**The General Directorate of Education in
Kirkuk Governorate**

Sdsalh65@gmail. com

تعدُّ دراسة العلوم العقديّة من خلال القرآن الكريم من أهم الدراسات البحثية التي قام بها علماء الشريعة الإسلامية ، ذلك لأن القرآن الكريم جاء بكل مسائل الأحكام العقديّة الواردة في الشريعة الإسلامية ، والتي تتناول جانب التوحيد والإلهيات. ولعل الموصّل الأساس إلى معرفة تلك العقيدة هو ضرب الأمثال العقديّة وطرق استخداماتها لأولي الأبصار ذوي العقول والنهي، ليتأملوا وحدانية الله وقدرته حتى يخلصوا العبادة له ولا يشركوا به شيئاً، هدفت الدراسة إلى جمع ودراسة الأمثال المضروبة في القرآن الكريم وطرق استخداماتها، في الموضوعات (التربويّة والارشادية والاجتماعية والتعاونية) إضافة إلى بيان الجانب العقدي في تلك الأمثال، وإظهار بعض الآيات التي ضُربت فيها الأمثال العقديّة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، توصلت الدراسة إلى عدّة نتائج من أهمها : إنّ الدراسة قامت بجمع الآيات التي تناولت ضرب الأمثال في الجانب العقدي، لأن الجانب العقدي فيه تبصرة لذوي الأبواب وتوجيه للدعاة والمربين كي ينهجوا نهج القرآن في بيان وحدانية الله وقدرته ، ومن ثم إخلاص العمل والعبادة إليه، ومن ذلك ضرب المثل في أثبات التوحيد لله ، وإبطال عبادة غيره.

Abstract:

The study of doctrinal sciences through the Holy Quran is one of the most important research studies carried out by Islamic Sharia scholars, because the Holy Quran came with all issues of doctrinal rulings contained in Islamic Sharia, which deal with the aspect of monotheism and theology. Perhaps the main conductor to the knowledge of that doctrine is to strike the dogmatic proverbs and the ways of their use for those with intellect and forbidding minds, to contemplate the oneness of God and His power so that they worship Him and do not associate anything with Him. In addition to clarifying the nodal aspect in those proverbs, and showing some of the verses in which the nodal proverbs were used, the study followed the descriptive and inductive approach. Al-Aqdi contains insight for people of understanding and guidance for preachers and educators to follow the approach of the Qur'an in explaining the oneness and power of God, and then devotion to work and worship to Him, and from that setting an example in proving the monotheism of God, and invalidating the worship of others.

المبحث الأول الأمثال القرآنية وطرق استخداماتها في الموضوعات

المطلب الأول معرفة الأمثال القرآنية

توطئة :

الأمثال مرآة النفس، وأنوار الصفات مرآة القلب، "وأن الله تعالى جعل على الأفئدة أسمعاً وأبصاراً على الرؤوس وأبصاراً فما أدركت أسمع الرؤوس وأبصارها أيقن به القلب واستقرت النفس واتسعت في علم ذلك وانشرح صدره بذلك وما غاب عن أسمع الرؤوس وأبصارها وجاءت أخبارها عن الله وتلك الأشياء مكنونة، أيقن القلب بذلك ولكن تحيرت النفس وتذبذبت". وإن النفس مستقرها في الجوف والقلب مستقرة فوق النفس فالقلب كدلو معلق في الصدر بعروق هو بما فيه من المكنون، وتحتة النفس وفيها الشهوات، والهوى ريح من تنفس النار، خرجت إلى محل الشهوات بباب النار واحتملت نسيمها وأفراحها حتى أوردتها على النفس؛ فإذا هبت ريح بأمر وجاءت بذلك النسيم والفرح إلى النفس تحركت النفس وفار ودب في العروق طيبها ولذتها في أسرع من اللحظة، "فإذا أخذت النفس في التذبذب والتمايل والاهتاش إلى ما تصور وتمثل لها في الصدر تحرك القلب وتمايل هكذا وهكذا، من وصول تلك اللذة إليه فإذا لم يكن في القلب شيء يثقله ويسكنه مال إلى النفس، فاتقفا واتسقا على تلك الشهوات فإن كانت تلك منهاها عنها فبرز إلى الأركان فعلها فصارت معصية وذنبا، وإنما يتقل القلب بالعلم بالله، لأن العلم بالله يورث الخشية" فإذا تأدت تلك الخشية إلى النفس ذبلت وتركت التردد فاستقر القلب. والقلب موقن بالله تعالى بيقين التوحيد فإذا جاءت نوائب الأمور استقر القلب بذلك اليقين، لأنه ليس في القلب شهوة وتذبذبت النفس بالشهوة التي فيها فإذا ضربت لها الأمثال صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعاينة، كالذي ينظر في المرأة فيبصر فيها وجهه ويبصر بها من خلقه لأن ذلك المثل قد عاينه يبصر الرأس فإذا عاين هذا أدرك ذلك الذي غاب عنه بهذا، فسكنت النفس وانقادت للقلب واستقرت تحت القلب في معدنها فهي كالعماد لسطح البيت فإذا تحرك العماد تحرك السطح وانهار وتبدد العماد. فضرب الله الأمثال لنفوس العباد حتى يدركوا ما غاب عن أسمعهم وأبصارهم الظاهرة بما عاينوا^(١). وقد روى البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ".. إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: خَلَالِ وَحَرَامِ وَمُحَكِّمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَأَتَّبِعُوا الْمُحَكَّمَ وَأَمْنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ"^(٢). وقد عدّه الإمام الشافعي - رحمه الله عليه - مما يجب على المجتهد

معرفة من علوم القرآن، فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ، والازدياد من نوافل الفضل^(٣). وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة منها:
أ- التنكير. ب- الوعظ. ج- الحث. د- الزجر. هـ- الإعتبار.

التقرير وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبه للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتي مشتلة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تقخييم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر. قال تعالى ﴿وَسَكَّنتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾^(٤). فامتنت علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥). وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكِلُونَ﴾^(٦). والأمثال مقادير الأفعال، والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط، ثم يفريه، ثم يقطع، وكل شيء له قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال^(٧).

المطلب الثاني استخدام الموضوعات (التربوية والإرشادية) في الأمثال القرآنية

ونتناول في هذا المطلب بعض وجوه التربية التي ترشدنا إليها الأمثال في القرآن الكريم علنا نهدي بأنوارها إلى ما فيه صلاح نفوسنا، وخير مجتمعاتنا. ومن تلك المآثر التربوية في الإسلام ما يمكن استنتاجه على النحو التالي:

١- الإبتلاء في الحياة الدنيا ومثاله ما أصاب أصحاب البستان المثمر: الإنسان في هذه الحياة محل للإبتلاء والشقاء، ومعرض للفتنة والإغواء. فقد يُبتلى المرء بصحته، أو بكرامته، أو براحته باله. وقد يتعرض في وقت من الأوقات للخسارة في تجارته، أو فقدان ممتلكاته، أو قد لا يعود لديه مصدر رزق يعتاش منه... وما إلى ذلك من الأضرار المعنوية، والمادية قد تصيبه، إذن فحالات الضرر والإبتلاء كثيرة، وقد لا يفلت منها امرؤ على وجه الأرض، والحكيم في مثل هذه الحالات، هو من أقنع نفسه بوجود التأسّي والصبر ويحكم عقيدته ورد الأمور كلها إلى الله سبحانه وتعالى، الذي يهبه العزاء، والقدرة على الاحتمال، بما يخفف عنه البلاء، ويقلل من وقع المصيبة. ولهذا عمدت الآيات الكريمة- وهي كثيرة- في القرآن الكريم إلى تربية الإنسان، بما تقدم له من القصص والأمثال الهادية، وبما تحفل به من الحكمة والموضوعات الحسنة، التي تبين جميعها أن ما يصيبه من خير أو من شر هو من قبيل الإبتلاء والامتحان لا اختبار إنسانيه قبل شيء، ومقدار درجة إيمانه أو كفره بربه... ثم لتؤكد له أن الناس جميعاً، أفراداً وجماعات، هم مثله تماماً معرضون للإبتلاء ما داموا يعيشون على هذه الأرض. والنص القرآني بين هذا الموضوع بقوله تعالى: ﴿...وَلِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ...﴾^(٨)، أي أن في الآيات القرآنية الموجهة لتربية الإنسان عظام، ودروساً وعبراً، على الإنسان أن يستفيد منها، لتكون تربيته صحيحة، سليمة حتى تتوافق مع فطرته، ولكن الأساس الذي تبني عليه هذه التربية هو أن الله تعالى قد جعل الإنسان موضع اختبار في هذه الحياة الدنيا فما أصابه من خير أو شر، إنما مرده لأمره سبحانه، ليختبره ما في النفوس. فإن المؤمنون يفوزون برضوان الله تعالى، لأنهم اختاروا طريق الصلاح في الدنيا، وطريق الفلاح في الآخرة^(٩). ويضرب الله تعالى لنا مثلاً عن الإبتلاء بأصحاب بستان غلبت عليهم نزعة الطمع فبعث الله عليه طائفاً من عنده فأحرقه ودمره، كما تبينه هذه الآيات المجيدة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٨﴾ طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِرِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعِدُوا عَلَيْنَا حَزْمًا لَكُنْمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنظَلْنَاوَهُمْ يَنْحَقُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍِّ قَدِيدٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا تَلَوْنَا إِنَّا لَسَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْهَى أَلْهَى إِنْ كُنَّا لَأَكْثَرُ لَاسِيُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا نَبِئْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَلَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ فَتَجَمَّلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجُرِيِّينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾^(١٠).

المفردات اللغوية: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي إنا اختبرنا أهل مكة بالقط والجوع. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِرِينَ﴾ أي حين حلفوا ليقطع ثمرها وقت الصباح، قبل أن يخرج إليهم المساكين. أي ولم يقولوا (إن شاء الله) حين حلفوا، كأنهم واثقون من الأمر. ﴿طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي فطرقها طارق من عذاب الله، وهم في غفلة عما حدث، لأنهم كانوا نياماً. ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي فأصبحت كالزرع المحصود إذا أصبح هشيماً يابساً، قال ابن عباس: أصبحت كالرماد الأسود، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِرِينَ﴾ أي نادى

بعضهم بعضاً حين أصبحوا، ليمضوا على الميعاد إلى بستانهم. ﴿ أَنْ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ كُنْتُمْ مَسْرِينًا ﴾ أي اذهبوا مبكرين إلى ثماركم وزرعهم وأعنانكم، إن كنتم حاصدين للثمار، تريدون قطعها. ﴿ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفِنُونَ ﴾ أي فانطلقوا نحو البستان، وهم يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين. ﴿ وَغَدَا عَلَىٰ حَرْثِ قَدِيرِينَ ﴾ أي ومضوا على قصد وقدرة في أنفسهم. قال ابن عباس: ﴿ عَلَىٰ حَرْثٍ ﴾ على قدرة وقصد، وقال السدي: على حنق وغضب. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أي فقالوا حينئذ: تنزه الله ربنا عن الظلم فيما فعل، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا في منعنا حق المساكين. ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً. ﴿ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴾ بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا في منعنا حق المساكين^(١١). في أسباب نزول هذه الآيات كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن جريج، أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوا في الحبال ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت: ﴿ إِنَّا بَلَوْتُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ... ﴾ أي إنا بلونا المشركين في الاعتداد بقوتهم، وفي عدم قدرتهم على المسلمين، مثلما بلونا أصحاب الجنة فلم يقدروا على رد ما أصاب جنتهم. إذن فهنا إخبار على ثمة بلاء من الله تعالى أنزله بالمشركين، وأن مثل هذا البلاء، كما في معظم الشدائد التي تصيب الناس، إنما يأتي من فعالهم هم، وتكون نتيجة لنواياهم أعمالهم السيئة...^(١٢). فهذا المثل الذي ضربه الله تعالى عن الظالمين لأنفسهم ولغيرهم، فيه توجيه منه سبحانه للناس أجمعين بالأذى يظلموا، ألا يطغوا على الفقراء والمساكين، لأن ذلك من فعل المشركين، والعاصين، والنافقين والكافرين... فمن أطاع واتقى كانت له جنات النعيم، ومن عصى وكفر كانت له نار الجحيم.

٢- الإنسان مرهون بأعماله وجزاء السيئة بمثلها: يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِن مَّوَدٍّ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(١٣). و أيضاً قال: تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مِثْلًا مَّا أَضَاءتْ نَارُهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١٤).

المفردات اللغوية: ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: أي رزقاً واسعاً بلا تبعة ولا تعقيب. ﴿ السَّيِّئَاتِ ﴾: جمع سيئة ما يسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي جمع قطعة، وهي الجزء من الشيء فهي فعلة بمعنى مفعولة إذ هي مقطوعة من شيء كامل. والمظلم: الإظلام لا كواكب فيه ولا قمر. ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ﴾ الرهق: الغشيان، يقال رهقه يرهقه رهقاً: إذا غشيه من باب خرج (١٥). ما أعظم عد الله تعالى على المسيئين! وما أعظم كرمه وسخاءه على المحسنين!

قال الزحيلي^(١٦): "من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلاً من الله، وفيه دليل على أن الجنايات في الأبدان والأموال تغرم بمثلها. بغير حساب بغير تقدير ولا تقنين ولا موازنة بالعمل، فهو رزق واسع لا حدود له، فضلاً من الله ورحمة. وقوله: وهو مؤمن قيد أو شرط في اعتبار العمل،" وأن ثوابه أعلى من ذلك. والتعبير في جانب الثواب على العمل الصالح مع الإيمان بالجملة الاسمية. فأولئك يدخلون الجنة للدلالة على الثبوت والاستمرار، وتغليب الرحمة، وجعل العمل عمدة (١٧). وأيضاً قال: وهذا دليل على أن جزاء السيئة مقصور على المثل، وجزاء الحسنة خارج عن الحساب، غير مقصور على المثل. والآية أيضاً أصل كبير في أحكام الشريعة فيما يتعلق بأحكام الجنايات (١٨). نستفيد من هذه الآيات درساً:

- ١- مشروعية التذكير بالحساب والجزاء وما يتم في الدار الآخرة من سعادة وشقاء .
- ٢- بيان فضل الحسنة وما تعقبه من نيل الحسنى .
- ٣- بيان سوء السيئة وما تورثه من حسرة وندامة وما توجيهه من خسران.
- ٣- تقرير معتقد البعث والجزاء بعرض صادق واضح له^(١٩) .

٣- توجه الإنسان إلى الله (تعالى) إذا مسه الضر، والإعراض عن الدعاء إذا كشف عنه ضره: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا نَدَائِهِمْ أَوْ قَائِمًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢٠).

المفردات اللغوية: ﴿ الضُّرُّ ﴾: المرض وكل ما يضر في جسمه، أو ماله أو ولده. ﴿ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا ﴾: مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذلك الذي دعا بكشف ضره. ﴿ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾: مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه، زين للمسرفين إسرافهم في الظلم والشرف. قال القرطبي: وهو صادق، كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زين للمسرفين في الشرك والمعاصي أعمالهم في ذلك^(٢١). قال ابن عباس: "إذا أصاب الكافر ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة أخلص في الدعاء مضطجاً كان أو قائماً أو قاعداً،

وإنما يريد جميع حالاته؛ لأن الإنسان لا يخلو من هذه الحالات^(٢٢). وفي هذه الآية الكريمة، وبما تحمل من تصوير بشع للنموذج البشري الجاحد، حثَّ بالمقابل للمؤمنين خاصة، وللناس عامة، بالأل ينسوا ربهم إذا منحوا الرخاء بعد الشدة، والعافية بعد البلاء. بل عليهم أن يتذكروا دائماً حسن صنيعه تعالى لهم، وجزيل نعمته عليهم، و أن يشكروه ويسألوه دوام هذه النعمة وذلك الصنيع الجميل، والفضل العظيم. كما أن فيها تنبيهاً من الله تعالى على وجوب الصبر عند المحنة احتساباً للأجر، وابتغاءً للثواب وأملاً في تغيير الحال بأحسن حال.

المطلب الثالث: استخدام الموضوعات (الإرشادية) في الأمثال القرآنية، مثل الحياة الدنيا في فنائها

١- إنما مثل الحياة الدنيا في فنائها كالنبات الحصيد

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَيْثُ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُومَهَا وَأَزْيَنَتْ وَظَرَبَ أَهْلُهَا أَنفُسَهُمْ فَتْدِرُونَ عَلَيْهَا أَمْراً لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَكُنْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ .

المفردات اللغوية: ﴿ زُخْرُومَهَا ﴾ الزخرف: كمال حسن الشيء ونضارته، سُمِّي زخرفاً لبهجته ونضارته. ﴿ تَكُن ﴾ غني بالمكان إذا أقام به وعمره^(٢٤). ﴿ وَأَزْيَنَتْ ﴾ وحسنت فأبنتت من ألوان النبات. وقال أبو عوسجة: زخرفها: زينتها من النبات، ﴿ حَصِيداً ﴾ أي: محصودا كما يحصد الحصاد، والحصاد: الزرع^(٢٥). إن الواقع يثبت مدى تعلق الناس بأهداب الحياة الدنيا، والعمل على التمتع بما فيها من متع: إن بالحصول على المال والثروة، أو بامتلاك النفوذ والجاه أو السعي وراء المطامح والمطامح التي يضعها الإنسان نصب عينه ويعمل على تحقيقها.. وهذا ما يجعل الإنسان مشدوداً إلى دنياه، غارقاً في خضمها الواسع ومستعداً لأن يفعل كل ما يمكن أن يوصله إلى غاياته ومآربه، إلا من عصم الله تعالى بالإيمان، فسار على طاعة ربه وتقواه^(٢٦). وبيان هذا المثل الحياة الدنيا كما سيأتي:

قال ابن القيم: "شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهاها اغتراراً منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها فشبها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيعتر به ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل فيخيب ظنه وتصبح يده صفراً منهما. فهكذا حال الدنيا والواقع بها سواء. وهذا من أبلغ التشبيه والقياس فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات، والجنة سليمة منها قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ... ﴿٢٧﴾ ﴾، فسامها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا فعم بالدعوة إليها، وخص بالهداية من شاء فذلك عدله وهذا فضله^(٢٨). لما كان سبب بغى الناس في هذه الدنيا هو إفراطهم في حبها والتمتع بزينتها- ضرب بذلك مثلاً يصرف العاقل عن الغرور بها، ويرشده إلى الاعتدال في طلبها والكف عن التوسل في الحصول على لذاتها بالبغى والظلم والفساد في الأرض- فشبها حال الدنيا وقد أقبلت بنعيمها وزينتها وافتنن الناس بها بعد أن تمكّنوا من الاستمتاع بها، ثم أسرع ذلك النعيم في التقضي وانصرم غب إقباله واغترار الناس به، بحال ما على الأرض من أنواع النبات يسوق الله إليها المطر، فيلتفت بعضها على بعض وتصبح بهجة للناظرين، ثم لا تلبث أن تنزل بها فجأة جائحة تستأصلها وتجعلها حطاماً كأن لم تكن بالأمس^(٢٩).

٢- مثل الحياة الدنيا في كل ما يهوى الناس وما يتفاخرون به كمثل النبات ينمو ثم يصفر ثم يكون حطاماً، وفي مقابل هذا الدنيا، الجنة دائماً وظلها: ويضرب الله تعالى مثلاً آخر عن الحياة الدنيا حول أحد أهم جوانبها في نظر الناس على الإطلاق، ألا وهو ما يتعلق بالأموال والأولاد، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحُوبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣٠﴾ . وفي مقابل فناء الدنيا، الجنة وهي دائمة وظلها، كما قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣١﴾ . واضح في هذا المثل التشابه في الصور التي يوردها عدد من النصوص القرآنية حول الحياة لتوكيدها على الغاية الأساسية التي ترمي إليها هذه النصوص وهي إيقاظ الإنسان من غفلته عن مصيره إلى الفناء، وحثه على العمل للأخرة وما ينتظره هناك من الحساب والجزاء.

المفردات اللغوية: ﴿ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحُوبٌ وَهِيَ ﴾ أي أن الحياة الدنيا أشبه بالأمور الخيالية قليلة النفع سريعة الزوال. ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ : أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة والزينة سريعة التغيير والزوال. ﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ﴾ : أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاخراً وتكاثراً في الأموال والأولاد. ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها من الدار الآخرة ونعيمها كمثل

﴿مَطَرٌ أَجْبَبَ الْكُفَّارَ﴾: أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع. ﴿ثُمَّ يَسِيحُ فَرَنَهُ مُصْفَرًا﴾: أي يبس فتراه مصفراً أن أوان حصاده. ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا﴾: ثم يتحول بسرعة إلى حطام يابس ينقث. ﴿إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ﴾: أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا حقيقة لها. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: أي صفتها التي نقصها عليك. ﴿أَكَلَهَا دَابِرٌ وَظَلْمًا﴾: أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ (٣٢).

قال الجزائري: ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يزيد في كمالهم وسعادتهم في الحياتين فخطبهم قائلاً: اعلموا أيها المؤمنون الذين استبطانا قلوبهم أي خشوعها إذ الإقبال على الدنيا هو سبب الغفلة عن الآخرة ومتطلباتها من الذكر والعمل الصالح ﴿أَمَّا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ هذه حقيقتها وهي أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال. فلا تغتروا بها ولا تقبلوا بكلكم عليها أنصح لكم بذلك. فاللهو كاللعب لا يخلفان منفعة تعود على اللاهي اللاعب، والزينة سرعان ما تتحول وتتغير وتزول والتفاخر بين المتفاخرين مجرد كلام ما وراءه طائل أبداً والتكاثر لا ينتهي إلى حد ولا يجمع إلا بالشقاء والنصب والتعب. تستفيد من هذه الآيات دروساً:

١- التحذير من الاعتزاز بالحياة الدنيا.

٢- الدعوة إلى المسابقة في طلب مغفرة الذنب ودخول الجنة.

٣- بيان الجنة وبيان ما يكسبها وهو الإيمان بالله ورسله ومستلزماته من التوحيد والعمل الصالح (٣٣).

٣- الإنفاق في سبيل الله أو في سبيل الشيطان: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَأَنَّتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَا تَمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾ أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾

المفردات اللغوية: ﴿وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تثببت أنفسهم وتمكينهم، وقيل: تصديقاً مبتدأ من عند أنفسهم. ﴿أَعْرُدُ بِاللَّهِ﴾ جَنَّةِ الْجَنَّةِ: البستان، وهي قطعة أرض تثبت فيها الأشجار حتى تغطيها فيها معنى الاستتار. ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ الربوة: المكان المرتفع من الأرض يقال: ربوة وربابية وأصله من ربا الشيء إذا زاد وارتفع. ﴿وَابِلٌ﴾: مطر كثير غزير. ﴿ضِعْفَيْنِ الضعف: المثل. ﴿قَالَ﴾ فَطَلَّ الطل: المطر الخفيف الذي تكون قطراته صغيرة. ﴿الرَّجِيمِ﴾: الهمزة فيه للإنكار، ويود بمعنى يحب ويتمنى. ﴿الرَّجِيمِ﴾: وأغاب الأغباب: ثمر شجر الكرم. ﴿إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصفة تستدير في الأرض بشدة ثم ترتفع إلى السماء حاملة الغبار. ﴿نَارٌ﴾ المراد: ريح فيها برد شديد وسموم يحرق الشجر (٣٥). هذا مثل ضربه الله تعالى لمن ينفق ماله في طاعة الله وفي مرضاة الله وفي الجهاد في سبيله لإعداد العدة وتجهيز الجيوش المسلمة المجاهدة لتكون كلمة الله هي العليا. ما تقدم في الذي ينفق مع المن والإيذاء أو السمعة والرياء، وما هنا أمثلة للذي ينفق في سبيل الله أو سبيل الشيطان. مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء رضا الله وطلباً لمغفرته وتثببتاً لأنفسهم وتمكيناً لها على فعل الخير، فإن المال شقيق الروح، وإنفاقه شاق وعسير على النفس، فإذا أنفقت بعض المال لله عودت نفسك على فعل الخير وثبتت بعضها، أما البعض الآخر فيثبت بالجهاد بالنفس في سبيل الله كما قال - تعالى - في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ (٣٦). مثلهم كبستان ذي أشجار ملتفة قد كست الأرض، وهو بمكان مرتفع متمتع

بالشمس والهواء ينزل عليه المطر الغزير فيثمر ضعفين من ثمر أمثاله، وإذا نزل عليه مطر بسيط أثمر وذلك لجودة تربته ونقاء منبته. والمعنى في هذا التمثيل: أن المنفق لله وفي سبيله ويقصد تثببت نفسه على الخير كالجنة الجيدة التربة العظيمة الخصب، فهو يوجد بقدر سعته وما في يده فإن أصابه خير كثير أنفق كثيراً وإن أصابه قليل أنفق على قدر سعته، فخير دائم وبره لا ينقطع كالبستان يثمر مطلقاً إذا نزل عليه مطر كثير أو قليل.

أما المثل الثاني: فهو لمن ينفق على عكس الأول وينفق في سبيل الشيطان ومرضاة لنفسه وهواه.

أيها المنفق لغير الله: أتود أن يكون لك جنة فيها النخيل والأغاب والزرع ومن كل صنف ولون تجرى من تحت جذورها الأنهار، لك فيها من كل الثمرات التي تشتهيها وأنت رجل كبير مسن قد أدركت الشيخوخة وأصابك ضعف الكبر ولك ذرية من ذكور وإناث ضعفاء وصغار

لا يقدر على الكسب وتصريف أمورهم، وليس لك ولهم غير تلك الجنة، فأصابها بأمر الله ريح شديد وسموم كالنار أو أشد، أحرق الشجر وأباد الثمر وأنت في أشد الحاجة إلى نتيجة عملك وجدك في شبابك؟؟! فمن يرضى بهذا المصير الذي ينتظر كل من ينفق للرياء أو يتبع ما أنفقه بالمن والأذى. إن من ينفق في سبيل الشيطان يظن أنه سينتفع بنفقته، كلا إنه كهذا المسن صاحب تلك الجنة، يأتي يوم القيامة فلا يجد لعمله إلا الحسرة والندامة. مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم الآيات لعلمكم تتفكرون وتتعضون بهذه الأمثال والمواعظ^(٣٧).

وقال ابن القيم- رحمة الله عليه:- مثل ما ينفقون كمثل ريح قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر ففوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عند نزول الوبال فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلاً وكذلك قلب المرثي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجراً صلداً لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرثي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه وبالله التوفيق.

المطلب الرابع استخدام الموضوعات (التقرب إلى الله بالأعمال) في الأمثال القرآنية

١- جزاء الإنفاق في سبيل الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾﴾^(٣٨).

المفردات اللغوية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾: صفتهم المستحسنة العجيبة. ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال. ﴿يُضَاعِفُ﴾: يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان. ﴿مَنًّا وَلَا أَذَىٰ﴾: المن: ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه على الوجه التفضيل عليه. ﴿وَلَا أَذَىٰ﴾: التناول على المتصدق عليه وإدلاله بالكلمة النابية أو التي تمس كرامته وتحط من شرفه^(٣٩). القرآن يعلم حرص النفوس على المال وتكالبها على جمعه ولمه، وسعيها في الحصول عليه بكافة الوسائل والسبل، ويعلم أيضاً شحها في الإنفاق على الغير وتقديرها في البذل وبخلها في العطاء في سبل الخير، فقدم لها علاجاً نفسياً تبلور في أن النفقة في أوجه الخير والبر والصالح العام تضاعف يوم القيامة أضعافاً مضاعفة يوم الجزاء. ووضع القرآن بهذه الأمثلة الإلهية الحاضرة على الإنفاق والحاجة على البذل أول لبننة في صرح التكامل الاجتماعي والتكافل الإنساني^(٤٠). وقال الحجازي^(٤١): "الإنفاق في سبيل الله ركن أساسي من أسس الدين ودعامة من دعائم الدولة، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذل والاستعباد، وسلط الله عليها الأعداء من كل جانب يتكاثرون عليها كما تتكاثر الأكلة الجياح على المائدة"^(٤٢). قال ابن كثير^(٤٣): "وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"^(٤٤).

٢- مثل الإنفاق في غير طاعة الله كمثل تراب على صخرة أزاله المطر وجعله بلا أثر. يقول تبارك وتعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْتَئُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾^(٤٥).

المفردات اللغوية: ﴿إِبْطال الصدقة﴾: الحرمان من ثوابها. ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾: تقدم معناهما. ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾: مراعاة لهم ليكسب محبتهم، أو يدفع مذمتهم. ﴿صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس. ﴿وَابِلٌ﴾: مطر شديد. ﴿صَلْدًا﴾: أملس ليس عليه شيء من التراب. ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾: يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة^(٤٦). الرياء مرض من أمراض المجتمع يدل على انهيار في الشخصية وجبن في الأخلاق، وبعد عن الموضوع وفقر في الشجاعة الأدبية، وطريق ملتويه كل متلون مخادع ليصل بوساطته إلى منفعة ذاتية أو كسب شخصي حتى ولو أهدر إنسانيته وأودي بكرامته وعزته وأنفته. وتقاليدنا الإسلامية تحفظ على الأناسي كرامتهم وإنسانيته، وهو ذا القرآن عند ما أوصي بتقديم الصدقة إلى مستحقها أوصى في الوقت نفسه بأن يحافظ المتصدق على شعور المستحق وإحساسه، والابقاء على كرامته وماء وجهه، فلا تقدم الصدق إليه مشفوعة بمن أو مصحوبة بأذى عاجل أو أجل... وإلا بطل ثوابها كما يبطل الرياء واثواب العمل^(٤٧). المن والأذى طبيعة في النفوس وغريزة في بنى الإنسان ولذا حرهما الله بأن شرط في النفقة الشرعية خلوها من المن والأذى وبين أن العدول عن الصدقة التي يتبعها أذى إلى قول معروف خير من تلك الصدقة. وخاطب المؤمنين بوصف الإيمان ليكون ذلك أدعى للقبول والامتثال، وحرم عليهم المن

(٥٩). ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٨) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٦١).

ومنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ...﴾ (٦٢). ومنها: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْبَالِي تَقَرُّبِكُمْ عَلَيْنَا زُلْفَى...﴾ (٦٣). وأولئك هم الملائمون للنار لا ينفكون عنها، وهم دائمون فيها بسبب كفرهم وفساد عقيدتهم. عافانا الله من السوء، وأهلنا الرشد والصواب، وثبت قلوبنا على الإيمان، وجعل أعمالنا كلها ظاهرها وباطنها في سبيله، ومن أجل رضوانه فقط (٦٤).

المطلب الخامس: استخدام الموضوعات (الاجتماعية) في الأمثال القرآنية:

١- تأثير الربا على حياة الناس: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٧) ﴿يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٣٨).

المفردات اللغوية: ﴿الرِّبَا﴾ لغة: الزيادة يقال: ربا الشيء إذا زاد ومنه الربوة والرابية: وشرعاً: زيادة على أصل المال يأخذها الدائن من المدين مقابل الأجل. ﴿يَخْبِطُهُ﴾ التخبط: الضرب على غير استواء كخبط البعير الأرض بأخفافه، وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبيل أو جنون. ﴿الْمَسِّ﴾ الجنون وأصله من المس باليد كأن الشيطان يمس الإنسان فيحصل له الجنون. ﴿سَلَفَ﴾ مضى وانقضى ومنه سالف الدهر أي ماضيه. ﴿يَمْحُو﴾ المحق: نقصان الشيء حالاً بعد حال ومنه المحاق في الهلال يقال: محقه الله فانمحق وامتحق. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم المتمادي في الذنوب والآثام. (٦٦). لقد حث الله تعالى في كتابه المبين - وفي غير هذه الآيات الكريمة- على الإنفاق في سبيل الله وإعطاء ذي القربى، واليتامى والمساكين وابن السبيل والغارمين، ودفع الفدية عن المظلومين، وما إلى ذلك من وجوه البر.. ثم بين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل والآجل.. (٦٧). قال الزحيلي: الذين يأخذون الربا، ويستحلونه حبا في المال وعملا بالأهواء، ويأكلون أموال الناس بالباطل ومن غير عمل ولا جهد: مثلهم في الاضطراب والقلق وتعذيب الضمير والوجدان والانهماك في الأعمال والدنيا كمثل المصروعين الذين تتخبطهم الشياطين، وتمسهم الجن، وتضربهم وتصرعهم، وهم في الآخرة- من وقت قيامهم من قبورهم إلى البعث والنشور- أشد تخبطا واضطرابا وتتأقلا في حركاتهم، بسبب ثقل المال الحرام الذي أكلوه من الربا، مما جعلهم متميزين عن بقية الناس في تعثرهم وسقوطهم كلما هموا بالنهوض والقيام، وهذه صورة في غاية القبح والبشاعة، ودليل على ما يحدثه النظام الرأسمالي الربوي في العالم المعاصر من هزات وقلق واضطراب وخوف وأمراض عصبية ونفسية (٦٨). وقال ابن زيد: هذا مثلهم يوم القيامة، لا يقومون يوم القيامة مع الناس، إلا كما يقوم الذي يُخنق من الناس، كأنه خنق، كأنه مجنون (٦٩). وقال الصابوني (٧٠): فيه تشبيه يسمى (التشبيه المقلوب) وهو أعلى مراتب التشبيه حيث يجعل المشبه مكان المشبه به. والأصل في الآية أن يقال: الربا مثل البيع ولكنه بلغ من اعتقادهم في حل الربا أن جعلوه أصلاً يقاس عليه فشبهوا به البيع. وكذلك فيه فوائد وسيأتي بيانه: الفوائد: الأولى: عبر بقوله ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ عن الانتفاع به لأن الأكل هو الغالب في المنافع وسواء في ذلك المعطي والأخذ لقول جابر في الحديث الشريف عن ابن مسعود قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَكَاتِبَهُ (٧١). وقال: هم سواء». الثانية: شبه تعالى المرابين بالمصروعين الذين تتخبطهم الشياطين، وذلك لأن الله عزَّ وَجَلَّ أرى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأتقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون قال سعيد بن جبیر تلك علامة آكل الربا يوم القيامة. ليلج إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة الحية المجسمة، صورة الممسوس المصروع، على أن المقصود بالقيام في هذه الصورة المفزعة هو القيام يوم البعث، ولكنها - فيما نرى - واقعة في هذه الأرض أيضاً على البشرية الضالة التي تتخبط كالممسوس في حكم النظام الربوي، (٧٢). فقه الحياة أو الأحكام: وفيه بيان نوعي الربا وسبب تحريمه: تضمنت الآيات أمورا خمسة: إباحة البيوع، وتحريم الربا، والحملة الشديدة على أكلة الربا، والصبر على المعسر (نظرية الميسرة)، وجزاء الإيمان والعمل الصالح، والأمر بالتقوى والتذكير بزوال الدنيا وإتيان الآخرة (٧٣).

فهرس المصادر والمراجع.

أولاً- القرآن الكريم

ثانياً- المصادر والمراجع

١. إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢. الأمثال في القرآن الكريم، لابن القيم الجوزية رحمه الله، ٦٩١-٧٥١هـ، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
٣. الأمثال في القرآن الكريم، محمود بن الشريف، الناشر: دار عكاظ-جدة، الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م.
٤. الأمثال من الكتاب والسنة المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) المحقق: د. السيد الجميلي الناشر: دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت - دمشق عدد الأجزاء: ١.
٥. الأمثال والمثل والمثلثات في القرآن الكريم، سميع عاطف الزين، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ، الناشر: دار الكتاب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة.
٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٧. التفسيرُ البسيطُ: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٨. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١-٧٧٤هـ) الناشر: دار ابن حزم للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٩. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٠. تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م عدد الأجزاء: ٣٠.
١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ. عدد الأجزاء: ٣٠.
١٢. التفسير الواضح: لمحمد محمود، الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. الجامع الكبير - سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
١٥. سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس).
١٦. صفوة التفاسير المؤلف: محمد علي الصابوني الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ١.
١٧. ضرب الأمثال من كلام الكبير المتعال، محمد لخضر سعيدات، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦.
١٨. ضرب الأمثال من كلام الكبير المتعال: لمحمد لخضر سعيدات، الطبعة الأولى، ١٤٣٧/٢٠١٦.
١٩. كتاب شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه: الدكتور عبد العلي، تخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٧ هـ.

٢١. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير، والإقراء والنحو واللغة "من القرن الأول الى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائقهم" جمع وإعداد وليد بن احمد الحسين الزبيدي، إياد بن عبد اللطيف، القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٣، (٣/ ٢٢٩٣).

هوامش البحث

- (١) الأمثال من الكتاب والسنة: لأبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي. ضرب الأمثال، لمحمد لخصر سعيدات، ط١ (١٤٣٧/٠٢٠١٦، ص: (٢٥-٢٦).
- (٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن، (٣/٥٤٨)، رقم الحديث: (٢٠٩٥).
- (٣) ضرب الأمثال من كلام الكبير المتعال: للسعيدات، (١٩/١).
- (٤) سورة إبراهيم: الآية ٤٥.
- (٥) سورة الزمر: الآية ٢٧.
- (٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.
- (٧) ضرب الأمثال من كلام الكبير المتعال: للسعيدات (٢٠/١).
- (٨) سورة آل عمران: الآية (١٥٤).
- (٩) الأمثال والمثل والتمثيل في القرآن الكريم، (١/ ٥٣٦-٥٣٨).
- (١٠) سورة القلم: الآيات ١٧-٣٦.
- (١١) صفوة التفاسير: لسماحة الشيخ، محمد علي الصابوني، (٢/٣٨٦).
- (١٢) الأمثال والمثل والتمثيل في القرآن الكريم، (١/٥٣٩).
- ١٣- سورة غافر، الآية: (٤٠).
- (١٤) سورة يونس: الآية ٢٧.
- ١٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٢/٤٦٦).
- ١٦- هو: وهبة بن مصطفى الزحيلي، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، ولد في دمشق سنة (١٩٣٢م)، نشأ بها وتعلم وبرع في العلم حتى صار عالماً، من شيوخه: الشيخ محمود ياسين، وشيخ الأزهر محمود شلتوت، وغيرهما، ومن تلامذته: الدكتور محمد الزحيلي شقيقه والدكتور عبد الستار أبو غدة، وغيرهما، تتلمذ على كتبه في الفقه والأصول والتفسير آلاف الطلاب، وله مصنفات عديدة وتحقيقات مفيدة ومنها: (الفقه الإسلامي وأدلته على المذهب المالكي) و (التفسير الوسيط) و (التفسير المنير)، وغير ذلك، انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (٣/٢٨٧٥)، رقم: ٣٧٢٠.
- ١٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢٤/١٢٦).
- (١٨) التفسير المنير: للزحيلي، (٢٤/١٢٩).
- (١٩) أيسر التفاسير: للجزائري، (٢/٤٦٥).
- (٢٠) سورة يونس: الآية ١٢.
- (٢١) أيسر التفاسير: للجزائري، (٢/٤٥٣).
- (٢٢) التفسير البسيط: (١١/١٣٧).
- (٢٣) سورة يونس: الآية ٢٤.
- (٢٤) صفوة التفاسير: للصابوني، (١/٥٣٩).
- (٢٥) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): (٦/٣٠).

(٢٦) الأمثال والمثل والتمثيل في القرآن الكريم (٥٢٣/١-٥٢٤).

(٢٧) سورة يونس، الآية: (٢٥).

(٢٨) الأمثال القرآن: لابن القيم الجوزي، (١٨٤/١-١٨٦).

(٢٩) تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي (٩٢/١١).

(٣٠) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٣١) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٣٢) أيسر التفاسير: للجزائري، (٣١/٣).

(٣٣) أيسر التفاسير: للجزائري، (٢٧٢/٢ - ٢٧٤).

(٣٤) سورة البقرة: الآيات ٢٦٥-٢٦٦.

(٣٥) صفوة التفاسير: للصابوني (١٥٢/١).

(٣٦) سورة الحجرات: الآية ١٥.

(٣٧) التفسير الواضح: لمحمد محمود، الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ، (١٨٠/١-١٨١).

(٣٨) سورة البقرة: الآيات ٢٦١-٢٦٢.

(٣٩) أيسر التفاسير: للجزائري، (٢٥٤/١).

(٤٠) الأمثال في القرآن: لمحمود بن الشريف، ط: ٢، دار النشر، عكاظ، جدة، (٢٩/١).

(٤١) هو الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمود حجازي، من علماء الأزهر ومدير معهد المنصورة، درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه. وله

تصانيف كثيرة من أهم آثاره: (التفسير الواضح) وكتاب: (الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم).

(٤٢) تفسير الواضح: للحجازي، (١٧٨/١).

(٤٣) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين وكنيته أبو الفداء،

مؤرخ فقيه. صنف: (تفسير القرآن الكريم) و (البداية والنهاية) وغيرهما، توفي سنة أربع وسبعين وسبع مئة. طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد

الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. انظر: سير

أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ) المحقق: مجموعة من

المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣) ومجلدان

فهارس)، (٣٢٠/١).

(٤٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٥٣٠/١).

(٤٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٤٦) أيسر التفاسير: للجزائري، (٢٥٦/١).

(٤٧) الأمثال في القرآن: لمحمود، (٣١/١).

(٤٨) التفسير الواضح: للحجازي، (١٧٩/١).

(٤٩) سورة آل عمران: الآيات ١١٦-١١٧.

(٥٠) التفسير المنير: للزحيلي، (٥٠/٤).

(٥١) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(٥٢) سورة الأنفال: الآية ٣٦.

(٥٣) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(٥٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم،

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م (١٤٣ /١).

(٥٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ، (٤٠٥/١).

٥٦- سورة الفرقان، الآية: (٢٣-٢٥).

٥٧- سورة النور، الآية: (٢٤-٣٩).

٥٨- سورة الشورى، الآية: (٤٠-٤٢).

٥٩- سورة المائدة، الآية: (٢٧).

٦٠- سورة البقرة، الآية: (٤٨).

٦١- سورة الشعراء، الآية: (٨٨).

٦٢- سورة آل عمران، الآية: (٩١).

٦٣- سورة سبأ، الآية: (٣٧).

٦٤- التفسير المنير: للزحيلي، (٤/٥٠-٥٤).

٦٥- سورة البقرة، الآية: (٢٧٥-٢٧٦).

٦٦- صفوة التفاسير: للصابوني، (١٥٧/١).

٦٧- الأمثال والمثل والتمثيل في القرآن الكريم، (١/٥٦٣).

٦٨- التفسير المنير: للزحيلي، (٣/٨٥).

٦٩- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (١٠/٦).

٧٠- هو: محمد بن علي الصابوني، ولد بمدينة حلب الشهباء بسوريا سنة (١٩٣٠م) من أسرة عريقة، وكان والده من كبار علماء حلب، تلقى تعليمه على يد والده وغيره ، بعد أن أتم دراسة الثانوية الشرعية بنجاح في بلده، قامت وزارت الأوقاف السورية بإرساله وبعثته الى الأزهر الشريف وحصل الشهادة الشرعية، ثم التخصص وكانت هذه الشهادة تعادل الدكتوراه في درجتها العلمية، وهو من أبرز العلماء المعاصر، وله مصنفات عديدة منها: (صفوة التفاسير، مختصر ابن كثير، النبوة والأنبياء) وغيره من الكتب. انظر: مذكرة مناهج المفسرين، جمع وإعداد، د.فضل المولى عبدالوهاب، (ص:١٧). و الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير، والإقراء والنحو واللغة "من القرن الأول الى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم" جمع وإعداد وليد بن احمد الحسين الزبيدي، إيراد بن عبد اللطيف ، القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانثستر - بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٣، (٣/٢٢٩٣).

٧١- أخرجه الترمذي في أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في أكل الربا، (٢/٥٠٣)، رقم الحديث: (١٢٠٦).

انظر: الجامع الكبير - سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٧٢- صفوة التفاسير: للصابوني، (١٥٩/١).

٧٣- التفسير المنير: للزحيلي، (٣/٩٣).